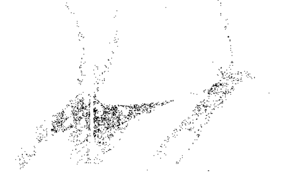
نزار قباني

خمسون عاماً في مديح النساء
(١)

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت: ٢٥١٤٢٩٥٥

رقم الإيداع: ١٧٠٨٧ / ٢٠١١



خمسون عاماً في مديح النساء

«أنا ما تورطتُ يوماً
بمدحِ ذكورِ القبيلهْ..
ولستُ أدينُ لهم بالولاء.
ولكنني شاعرٌ
قد تفرغَ خمسين عاماً
لمدحِ النساء!!»

نـزار

«أنا لا أقارنُ مجدي
بمجدِ السلاطين والخلفاء
فهم يحكمون بحدِّ السيوفِ
وإني حكمتُ بِشِعْرِ الغَزَلْ!!»

نـــزار

خمسون عاماً في مديح النساءْ

(قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة:

ما يمنعُك من مدحنا؟..

أجابه عمر:

إني لا أمدحُ الرجالَ.. وإنما أمدحُ النساءَ..)

الأغاني

١

.. ومن عادتي
أن أكونَ سفيراً لكل النساءِ..
وشاعرَ كلِّ الفصول..
و أكتبُ فيهن شعراً ونثراً
فتكبرُ أحداقُهن قليلا.
وتصغرُ أعمارُهن قليلا.
وترقصُ أثداؤُهنَّ ابتهاجاً..
كزهرِ الحقول..

٢

أقولُ كلاماً كثيرا.
أقولُ كلاماً خطيرا.
فإياك أن تقبضي ما أقولْ.
فإني- بِحُكم اعترافي-
أُحوِّلُ أيةَ أنثى غزالا..

وأصنع من كلِّ نهدٍ هلالا.
وأخلقُ من أي دبّوس شعرٍ... جمالا
فلا تشربي من نبيذِ حروفي
فبعضُ القصائدِ يسكرَ مثلَ الكحولْ..

٣

ومن عادتي..
أن أحرضَ ذاكرةَ السيدات..
وأقرعَ من أجلهنَّ الطبولْ.
فَيَنْسَيْن أسماءَهُن..
ويقتلن آباءَهُن..
و يكسرْنَ أقفاصَهُن..
ويهربن من لعنةِ المدنِ المالحهْ
إلى مدنِ الماءِ والياسمين..

٤

ومن عادتي
أن أقدمَ للعاشقات
مراوحَ ريش..
وأمشاطَ عاجْ..
وأكياسَ غزلِ البنات..
ومن عادتي أن أقدمَ للقارئات
- بحكمِ اعترافي -
حقائبَ ملأى بأحلَى الصور
ونهراً طويلاً من الأغنياتْ
وعينةً من ترابِ القمر.
فلا تسقطي تحتَ سيفِ التشابيه والتورياتْ.
فلستُ سوى نحلةٍ تفرزُ المفرداتْ..

٥

ومن عادتي
أن ألخبطَ تاريخَ كلِّ النساء
بأغنيةٍ واحدهْ..
فلا تقعي تحتَ سحرِ الكلام المنمَّقْ
والنغمةِ الشاردهْ..
ولا تدخلي في مزادِ القصائدِ يوماً
ولا تصبحي فرساً في زحامِ الخيولْ..

٦

ومن عادتي
أن أفجر نفسي
إذا مر أيَّ قوامٍ جميلٍ أمامي
و أن لا أميزَ بينَ عروقي
وبينَ عروقِ الرخام..

ومن عادتي - حين أكتبْ-
أن لا أميزَ بينَ دمائي
وبينَ دماءِ الكلامْ..

٧

ومن عادتي
أن أحركَ نهرَ الأنوثةِ حيثُ أشاءْ
وأوقفُ مجراه، حيثُ أشاء
فلا تعجبي من غرابةِ طقسي
ففي ذروةِ الصَّيف
يولد عندي الشتاءْ..

٨

ومن عادتي
أن أخلخلَ كلَّ النصوص القديمهْ
وأقتلُ كلَّ ملوكِ الغزلْ

وأوقفُ عادةَ كلِّ النساء
وصيد الحَجَلْ..

٩

ومن عادتي
أن أدينَ بلاهةَ مجنون ليلى
وصاحبهِ في الغباءِ، جميل بثينه..
وآخذُ ثاراتِ هندٍ.. ودعدٍ.. ولبنى..
وكلِّ النساء اللواتي
عشقنَ.. ومتن..
ولم يغتسلْنَ بصوتِ الرجلْ..

١٠

أنا لا أجيدَ التصوفَ في الحبّ..
لستُ أجيدُ مجاورةَ الأولياء..
ولست أجيدُ رثاءَ العصافير..

حين تطيرُ بعيداً
ولست أجيدُ البكاءْ..
أنا شاعرٌ..
يرفضَ العيشَ في كتب الأولين.
وفي كتبِ الآخرين.
ويرفض أن يخلط الحبَّ بالكيمياءْ..

١١

ومن عادتي
أن أقدمَ للسيدات ولائي
وأحملهنَّ على كتفي
وأزرعهنَّ نجوماً بقلب السماء.
ليسعدني دائماً أن أكونَ
أثرتُ غرورَ الظباء..
وأني أعدتُ إلى كلِّ أنثى

قليلاً من الكبرياءْ..

١٢

ومن عادتي
أن أمارسَ عشقي حتى الجنونْ.
وأقترفُ الشعرَ حتى الجنونْ.
فإن الكتابةَ عندي امرأةْ..
وإن القصيدة عندي امرأةْ...
فلا تدهشي إن تركتُ كتابي
لأقرأَ ما في كتابِ العيونْ.
فإما أكونُ شبيهاً بشعري
أو لا أكونْ..

١٣

أنا شاعرٌ..
لا يجيدُ التسكعَ قربَ خيامِ النساءْ...

و لا أتذكرُ أني

فرضتُ على امرأةٍ جزيةٍ...

وساومتُ ثغراً على قبلةٍ..

ولا أتذكر أني

ذبحتُ على مضجعِ الحبِّ إحدى الظباءْ...

١٤

أنا لستُ أشبه غيري من الشعراءْ

ولست أجيدُ الوقوفِ على بابِ أي خليفهْ..

لأغسل لحيتَه بالرحيقْ..

وأدهن أقدامَه بالعسلْ..

وأجعل قامتَه كالغزالِ..

وأجعل طلعتَه كالقمرْ..

أنا لا أقارنُ مجدي..

بمجدِ السلاطين والخلفاءْ

فهم يحكمون بحدِّ السيوف
وإني حكمتُ بشعرِ الغزلْ!!.

١٥

أنا لستُ أشبه إلا أنا..
فلستُ الفرزدق،
ولستُ جريراً،
ولست الشريفَ الرضيَّ،
ولست مهرجَ أيِّ نظامْ
ولستُ جواداً مطيعاً يباعُ بسوقِ عكاظ..
فلي حافرٌ فوقَ أوراقِ شعري
ولي حافرٌ في جبينِ السماءْ..
ماذا من الشعراءِ سيبقى؟
إذا ما تخلُّوا عن الكبرياءْ؟..

١٦

أنا ما تورطْتُ يوماً

بمدحِ ذكورِ القبيلهْ..
ولستُ أدين لهم بالولاءْ.
ولكنني شاعرٌ
قد تفرغَ خمسين عاماً
لمدحِ النساءْ!!..

لندن آذار (مارس) ١٩٩٤

صانعُ النساء

١

زاولت ألفَ مهنةٍ ومهنةٍ
في زمنِ الشباب.
أسست جمهوريةً للعشقِ
لا تغربُ عنها الشمسُ،
فيها النخلُ، والرمانُ، والأعنابُ.
وكان عندي دولةٌ كبرى
من الشفاهِ، والعيونِ، والأهدابْ..

٢

عملتُ خزافاً..
ورسَّاماً..
ونحَّاتاً..
وأستاذاً لفنِّ الحبِّ..

حتى صار لي جيشٌ من الأتباعِ والطلابْ.
لكنني.. رغمَ اتساعِ سلطتي.
ورغمَ كلِّ شهرتي.
ورغمَ مجدِ الأعينِ السوداءِ.. والخضراءْ..
أشعر أني رجلٌ يكتبُ فوقَ الماءْ...

٣

من نصفِ قرن.. وأنا
أطرزَ الشعرَ على قميصِ شهرزادْ.
وأفرشُ السجادَ في موكبِها
وأزرعُ الأشجارَ.
وأحملُ الشايَ إلى سريرِها
وأحملُ الأزهارْ.
من نصفِ قرنٍ، وأنا
أحرضُ النهدَ على تاريخه..

وأهدمُ الأسوارْ.
من نصفِ قرنٍ، وأنا أقنعها
أن تكسرَ السيفَ الذي ينامُ في جوارها
ولا تعودْ مرةً أخرى إلى فراشِ شهريار!!..

٤

سيدتي:
سيدةَ الكلِّ التي يطلعُ من ضحكتِها النهارْ.
من نصفِ قرنٍ، وأنا أقاومُ التتارْ.
بالشعرِ، أو بالنثرِ،
أو بالحبِّ، أو باللونِ،
أو بالغزلِ الجميلِ، أو بالطِّينِ والفخارْ.
بدمعةٍ تسيلُ من أصابعِ الغيتار.
فلا تَشّكيٍّ أبداً بقدرةِ القصيده
فربما ينتصرُ الشعرُ

على جحافلِ التتارْ..

٥

كتبتُ تاريخَ الجميلاتِ على جبيني
من يوم كانت أمُّنا حواء.
كتبتُ عن فاطمة.
كتبت عن عائشة.
كتبت عن راويةَ.
كتبت عن هدباءْ.
فعندما أدخلُ أيَّ مجلسٍ
يقال: (هذا صانعُ النساء)..
فيا لها من تهمةٍ جميلهْ
أن يصبحَ الإنسانُ من عائلةِ الظباءْ..

٦

أيتها القصيدةُ المائيهْ.

يا زغبَ الحمامِ في دفاتري
يا وردتي الجوريهْ.
لا تشعري بعقدةِ الذنبِ معي
فإن كلَّ امرأةٍ أحبُّها
أمنحها الشرعيهْ

٧

غنيتُ للنساء..
حتى صرتُ شيخاً
من شيوخِ الطرقِ الصوفيْه..
وصار قلبي ملجأً
لطالباتِ العشقِ، والحياةِ، والحريهْ..

٨

هذي بلادٌ ليس فيها امرأةٌ..
هذي بلادٌ ما لها قضيهْ!!

٩

عملتُ في النهار والليل
على خرائطِ الأنوثهْ..
عملت في الصيفِ وفي الشتاءِ
دخلت في كلِّ التفاصيل الصغيراتِ التي أجهلُها..
دخلت تحتَ قشرةِ الأشياء.
لم أنسَ ثغراً واحداً قبّلتُه..
لم أنس خصراً واحداً طوّقتهْ..
لم أنس عطراً همجيّاً كنت قد شممتُهْ..
لم أنس نهداً شاهراً سلاحَهْ
دمرني عشقاً.. كما دَمرتهْ..

١٠

أريد أن أهربَ
من بحرِ الإشاعاتِ الذي أغرقني.

أريدُ أن أهرب
من جميع ألقابي وأسمائي
فإني ضقتُ بالألقابِ والأسماءْ..

١١

أريد يا سيدتي، أن تعرفي
بأنني لم أصنعْ النساءَ في مختبري
لكنني..
أنا الذي خرجتُ من مختبرِ النساء..

لندن ربيع عام ١٩٩٤

حوار مع سَفَرْجَلَتَيْن

١

لجسمِكِ عطرٌ خطيرُ النوايا..
يقيمُ بكلِّ الزوايا..
ويلعبُ كالطفلِ تحتَ زجاج المرايا..
يعيشُ على سطحِ جلدي شهوراً.
كما وردة في كتابْ.
ويضحكُ مني،
إذا ما طلبت إليه الذهابْ..

٢

يُعرْبشُ عطرُك فوقَ الرفوف،
وفوقَ الخزائن،
يمشي بكلِّ الدهاليز،
يجلس فوقَ البراويز،

يفتحُ بابَ الجوارير، ليلاً
ويدخلُ تحتَ الثيابْ..

٣

لجسمِك رائحةٌ لا تريدُ السفر..
تطاردني، كرجالِ المباحِث، ليلاً نهاراً..
وتدخلُ في الجِلد..
مثلَ القضاءِ، ومثل القَدَرْ.
فتجلسُ في أيِّ مقهى جلستِ.
وتعبر أيِّ رصيفٍ عبرتِ..
وتقرأ أي كتابٍ قرأتِ..
وتمشي معي، حين تصحو السماءْ
وتمسكني من يدي.. حين يهمَي المطر..

٤

لجسمِك عطرٌ..

شديدُ الذكاءِ، كثيرُ الغرابهْ
يشابه صوتَ الكمنجاتِ حيناً
وحيناً يشابه صوتَ الربابهْ..
يُشاركني في صياغةِ شِعري
ويدخل بيني وبين الكتابهْ..

٥

لعطرِك ظُفْرٌ طويلٌ.. طويلْ
يغوصُ بلحمي
ولحمِ الشراشفِ ليلاً
ويمنعني أن أنامْ..

٦

أحاورُ ليلاً.. سفرجلتين دمشقيتين
فأكتظُّ بالعطر، قبلَ ابتداء الحوار.
وأكتظُّ بالشعر، بعدَ انتهاءِ الحوارْ.

وينفجر البرقُ تحتَ قميصي..
ونسقطُ من ركبتيك الحُلي والثمارْ..
فيا امرأةً حاصرتني طويلاً..
بعطرِ السفرجل..
من قال إني أضيقُ بهذا الحِصَار؟
ومن قال إني أخافُ مواجهةَ الموجِ والعاصفه؟
فإني بقطرةِ عطرٍ صغيرهْ
سأغزو أعالي البحارْ!!..

٧

لجسمِك عطرٌ به تتجمعُ كلُّ الأنوثهْ..
وكلُّ النساء..
يدوخني كالنبيذِ العتيق
ويزرعني كوكباً في السماءْ.
ويسحبني من فراشي

إلى أيِّ أرض يشاءْ.
وفي أيِّ وقت يشاءْ.

٨

لجسمِك رائحةَ الشام، تملأُ صدري
فخوخٌ.. وتينٌ.. ولوزٌ.. وماءْ..
فكيف أشمُّ على شفتيكِ الربيع؟
ونحن بعزِّ الشتاءْ؟...

٩

يقول سفرجلُ نهديْك.. حين يراني
كلاماً جميلاً..
يقول الذي لم تقلْه جميعُ اللغات.
يحرضُ بحرَ الرجولةِ في داخلي..
ويقترفُ المعجزاتْ.

ويصنع غزلَ البناتِ صباحاً..
ويصنع غزلَ البناتِ مساءْ..
وعند الظهيرة،
يصنع خيطان غزلِ البنات!!..

١٠

أنا ضائعٌ تحتَ أمطارِ عطرك
بينَ الجنوبِ، وبينَ الشمال..
وما بينَ رائحةِ البن تجتاحُني
ورائحة البرتقالْ..
سلامٌ على شامةٍ في ذارعِك
تغفو كحبةِ هال..
سلام على أيِّ ملقطِ شعرٍ نسيناه تحتَ الرمال..
سلامٌ على النهد..
يأخذُ في أولِ الشهر،

شكلَ الهلال!!..

11

سلامٌ على جسد كالخرافةِ
يفتحُ كالورودِ أجفانَهُ.
ويختار عني فطورَ الصباحْ..
ويسكبَ لي قهوتي بيديْه..
فأشعر أن السريرَ يسافرُ فوقَ الغمام..
سلامٌ على الخصرِ، يخطر بالبالِ مثلَ المنام..
سلامٌ على الصيف
حين يطيرُ.. وحين يحُطُ الحمامْ..
سلامٌ على الماء يخرج لي من ثقوبِ الرخام..
سلامٌ على قمرين يدوران حولي..
فهل تنقلين إلى ناهديْك السلام؟

١٢

أحبُّك يا امرأةً
هي عطرُ العطورِ.. ومسكُ الختام.
لأجلِك..
كانت أهمُّ القصائدِ عبرَ العصور..
وكان أهمُّ الكلامْ..

لندن نيسان (أبريل) ١٩٩٤

إلى امرأة لا تقرأُ.. ولا تكتب

١

أضُحِّك بالحبِّ ليلاً نهاراً
وأرمي على قدميْك
سلالَ الفواكهِ والياسمين..
وأتلو عليك كلَاماً عن العشقِ
ما جاء في كتبِ الأولين.
ولا جاءَ في كتبِ الآخرين.
فمن أيِّ شيء تُرى تشتكين؟

٢

أضخ دمائي على ركبتيْك..
وأنت محدقةٌ في سطورِ الجريدهْ..
وأنزفُ عندَ حلولِ الظلامِ قصيدهْ.
وعندَ طلوعِ الصباحِ قصيده.

وأنتِ ككلِّ النساءِ الكسولاتْ
تنتظرين حنيناً
ولا تعرفين شعورَ الحنين..

٣

أَضُحُّكِ..
برقاً، ورعداً، وموجاً
وأنت تعيشين في كوكبِ آخر..
فلا تسخنينَ.. ولا تبردين..
ولا تضحكين.. ولا تحزنينْ..
ولا تمضغينَ الشراشفَ..
لا تغمدين الأظافرَ داخل لحمي..
ولا تأكلينَ زجاجَ المرايا..
ولا تعرقين..
فكيف أمامَ الزوابع لا تصرُخين؟..

٤

أرش بماءِ البنفسجِ جسمَك
رابيةً... رابيهْ..
وأهبطُ مثلَ العصافير
فوق تضاريسِك العاليه..
واصرخُ مثلَ المجانين
بين المدينةِ و الباديهْ.
وأنت أمامي كتمثالِ شمع
فلا أنت سَكْرى ولا صاحيه
ولا أنت مكسوةٌ بحشيش الربيع
ولا عاريهْ..

٥

أضُخ دقائق عمري.. لأوقظَ فيك أنوثتَك النائمهْ..
فأنت كأيةِ كونتيسة من زمانِ المليكة فكتوريا

تعيشين أيامَك الخاويهْ
على هامشِ البؤسِ والبائسين
وتنتظرين فطورَ الصباح يجيءُ إليك.. مع الساعةِ العاشرهْ.
وتنتظرين حضوري لأحملَ كوبَ الحليبِ إلى شفتيك..
مع الساعةِ العاشرهْ..
وتنتظرين مجيئي لأغمرَ بالقبلاتِ يديك..
مع الساعةِ العاشرهْ..
فمن أنت أيتها المرأةُ المستريحةُ في زمنِ الكادحين؟
وفي أي عصرٍ تُرى توجدين؟؟..

٦

أفتش عنك بكلِّ الزوايا..
أفتش فوقَ السريرِ.. وتحت السريرِ..
وبينَ المرايا.. وخلفَ المرايا..

فلستُ أشاهدُ في غرفة الحبِّ
شخصاً سوايا..
ولا تتصادمُ إلا شفاهي
ولا تتعانقُ إلا يديا..

٧

أنادي على جسدٍ ضيعَ الذاكرهْ..
على سمك كان يسبح في فضة الخاصرهْ..
وأعرف أنك لا تعرفين ملامحَ وجهي
وأعرف أنك لا تسمعين..
أنادي على كلِّ مشطٍ..
على كلِّ دبوس شعرٍ..
على كُلِّ قفطانِ قطنٍ..
على كُلِّ كنزة صوفٍ..
على كلِّ قرطٍ مثيرِ الرنينْ..

٨

أنادي على امرأةٍ من نحاس..
على شفةٍ ماتَ فيها اللهيبْ..
أنادي
على ناهدٍ لا يدرُّ الحليبْ!!.
أنادي عليك.. وأنت أمامي
وأحفرُ.. أحفر..
فوقَ بياضِ الرخام
ولا من مجيبْ..

٩

أضحُكِ بالكلماتِ الجميلةِ
حتى تصيري امرأهْ...
وأحرق نفسي حيّاً
لعلي أحركُ شهوتَك المطفأهْ..

أضخك قمحاً.. ولوزاً.. وتيناً... وخوخاً..
إلى أن تقولي: «شبعتُ»..
وأغسلُ بالشعر نهديْكِ..
حتى تقولي: «تعبتُ»..
وكيف من الشعرِ يا سيدتي تتعبينْ؟؟.

١٠

أغطيك ليلاً، بصوتِ البيانو، وضوءِ القمر..
وأعطيك عندَ الصباحِ قميصَ الشجر..
وأهطل مَنًّا عليك وسلوى
ولا تسمعين هطولَ المطر..
فماذا تريدين مني؟
وعن أيِّ مجدٍ، تُرى، تبحثين؟؟

١١

صنعتُ لأجلِك سبعَ لغات
وكونت خصرَكِ من دوزناتِ الكمانِ
ومن أدمعِ الماندولين.
وأنزلتُ كالأنبياءِ عليك.. كلامي المبينْ..
ويؤسفني أن أقولَ..
بأنك لا تقرأينَ.. ولا تكتبينْ!!.

لندن آذار (مارس) ١٩٩٤

إلى مسافرةٍ.. لم تسافرْ

١

لم يعد مسموحاً لك أن تسافري
إلى أيِّ مكان آخرْ.
إلى أي وطنٍ آخرْ.
أنا آخرُ وطنٍ تلتجئينَ إليهْ
يعطيك شرعيةَ الحبِّ..
ويمنحك السلامَ والسلامهْ..

٢

لم يعد مسموحاً لك..
أن تغادري أقاليمي الاستوائيهْ
فصدري هو آخرُ شاطئٍ رملي.
تريحين عليه رأسَك المتعبْ.
آخر منفى..
يفتحَ أمامَك أبوابَه

ويمنحَك جنسيتَه ويطعمُك تفاحةَ الشعر..
وخبزَ الحريهْ..

٣

لم يعدْ مسموحاً لك
أن تعودي إلى القرنِ العاشر
قبلَ اكتشافِ الأنوثهْ..
وأن تخرجي من زمَن الماءِ
لتدخلي في الزمنِ اليابسِ.
وتنتقلي من حضارةِ القصيده
إلى مغارةِ (مقامات الحريري)!!.

٤

لم يعدْ مسموحاً لك
أن تتركي الأشياءَ على حالتِها الأولى
أي قبلَ ظهورِ الإسلامْ..
قبلَ ظهور النصرانيهْ..

قبل ظهورِ الحب..

٥

لم يعدْ مسموحاً لك
أن تضعي الزمنَ الجميلَ في حقائبِك
وتقفلي عليه بالمفتاحْ.
لم يعدْ مسموحاً
أن تتركي الأنهارَ التي اغتسلتِ بها
وترجعي إلى حالةِ التصحُّرْ.
لم يعد مسموحاً
أن تتركي الحَمامَ جائعاً..
وتُرمسَ القهوةِ فارغاً..
وكتبَ الشعرِ مبعثرة..
وفراشَ القيلولةِ بارداً.
وترجعي إلى زمنِ الجاهليهْ..

٦

لم يعُدْ مسموحاً لك
أن تلعبي بخرائطِ الوقت، كما تشائين.
فثمة خرائط رسمْناها معاً
لا يمكنِك أن تغيريها.. أو تمزِّقيها..
ولا مواقعَها.. ولا رائحتَها..
ثمةَ ميراثٌ مشتركٌ من الحبِّ، بيني وبينك
لا يمكنك أن تحمليه معكِ إلى الطائرهْ..
أو تدخليه إلى غرفتِك في الفندق..
لأنه سينفجرُ بك..

٧

لم يعد مسموحاً لك أن تهربي إلى الأمام
وتبحري ضدَّ دورتِك الدمويهْ..
وضد ذاكرتِك النسائيهْ..

وضد كيمياءِ جسدِك..
المصنوعِ من خلاصةِ الأعشاب..
ووصفاتِ الطبِّ العربيّ..

٨

لم يعدْ بوسعِك، أن تتحولي مرةً أخرى
إلى منسفِ رُزٍّ في مضافةِ أبي لهب..
وناقةٍ مذبوحةٍ على بابِ خيمتِه..

٩

صار مستحيلاً عليك
أن تخرجي من المرايا التي دخلتِ فيها..
والديوانِ الذي كنتِ تتمددينَ فوقه..
والشراشفِ التي سال عرقُك عليها..
وبرنسِ الحمامِ الذي كنت تنشفين به..
صارَ مستحيلاً عليك

أن تنتحري بأمشاطِك.. وخواتمك
وساعاتِك التي ضيعْتِ إحساسَها بالزمن..

١٠

إني أحبُّك كما أنت..
متحدياً كلَّ الفوارقِ الطبقيهْ
بين موقعك البورجوازي
وبينَ صعلكتي..
بينَ دمِك الأزرق..
ودمي الشعبي كحبرِ الجرائد..
بين نهديْك المهذَّبين جداً..
وأصابعي التي
لا تعرفُ استعمالَ الشوكةِ والسكين!!.

١١

لم يعد مسموحاً لك، بعدَ اليوم

أن تقفي على يمينِ العشقِ..
في حين أقفُ أنا
منذ أن شممتُ رائحةَ أولِ امرأهْ..
على يساره..

١٢

لم يعدْ مسموحاً لك.. أن تخلطي
بين أصوليتِك الثقافيهْ..
وبين جنوني..
بين خوفِك الوراثيِّ من الرجل
وانتمائي الوراثي لحزبِ المرأهْ..
بين انحنائِك للنصِّ القَبَلي
وخروجي على كلِّ النصوص..
بين أبراجِك الرومانية العاليه
وبينَ حريتي..

١٣

أيتها المسافرةُ التي لم تسافر:
عندما كنتِ هنا..
كان الزمنُ مفصلاً على مقياسِ جسدِك..
وكان الشجرُ يورقُ معك.. والأنهارُ تفيضُ معك.
والقمرُ يستديرُ مع استدارةِ صدرِك..
والحنطةُ تتكاثرُ تحتَ إبطيْك..
والضفادعُ تسبحُ في مياه ركبتيْك..
والعصافيرُ تتعلمُ الطيرانَ في سهولِك المفتوحهْ..
والشمسُ تشرقُ من شفتِك العليا..
وتغيب تحتَ شفتِك السفلى..
والقصائدُ تتساقطُ الواحدةُ بعدَ الأخرى
في سلالِ نهديْك..

١٤

عندما كنتِ هنا..
كان كلُّ شيءٍ مضبوطاً
على إيقاعِ أنوثتِك..
فأية مجاعة ستجتاحُ العالم
يومَ ترفعين يدَك عنه..
وتسافرين؟؟

١٥

عندما كُنتِ معي..
كان الياسمينُ يخترعُ بياضَه..
والوردةُ تبتكرُ رائحتَها.
والبحرُ يبتكرُ زرقتَه..
والقصيدةُ تبحثُ عن موسيقاها..
والشاماتُ تبحث عن مكانِ إقامتها.

والحلمةُ..
تبحثُ عن سريرٍ تنامُ عليه!!..

١٦

عندما كنتِ حبيبتي.
كان الكلامُ الجميلُ بخيرْ.
واللغةُ بخيرْ.
وسفرجلُ نهديْك بألفِ ألفِ خيرْ..
ورسائلُ العشقِ..
تتكاثرُ كالسنابلِ في صناديقِ البريد..
وكان الأطفالُ يحضنون عرائسَهم.. وينامون..
وكان القمرُ يتركُ على شبابيكِنا كلَّ ليلهْ
إسوارةً ذهبيهْ..
وعُلبةَ ملبسْ...

١٧

يا سيدتي سافري علىّ أي طائرةٍ تريدين.
على أي سفينةٍ تريدين. إلى أي جزيرةٍ تريدين.
ولكنك لن تستطيعي أن تهربي
لا من الجغرافيا ولا من التاريخِ، ولا من تضاريسِ جَسدي..
لن تستطيعي أن تطيري بعكسِ اتجاهِ العشق..
وعكسِ اتجاهِ الأنوثهْ..
فأنا الذي أرسمُ جغرافيتَك بيدي..
وأرسمَ خطوطَ الطولِ والعرضِ على جسدِك..
وأنا الذي أحددُ مكانَ خطِّ الاستواء..
فإلى أين تذهبينْ؟؟..

لندن صيف ١٩٩٤

من يوميات فنان تشكيلي

١

رسمتُ أقواماً من النساءِ في دفاتري
بالماءِ..
أو بالزيتِ..
أو بالفحمِ.
أو بريشةِ الشهواتْ..
فامرأةٌ من نغمِ الصِّبا لحنتُها
وامرأةٌ من نغمِ البياتْ.

٢

رسمتُ أجساداً من النُّحاس..
والفضةِ..
والقشطةِ.. والحليبِ..
في مختلفِ الأوضاعِ والحالاتْ

رسمتُ..
حتى ضعتُ في مقالعِ الرخام
في خيوطِ دودةِ الحريرِ..
في رطوبةِ الخلجانِ..
في كثافةِ الأحراجِ والغاباتْ..

٣

رسمتُ عينيْك
على قماشتي.
وعندما انتهيتُ
شاهدتُ أمامي شاطئَ الفراتْ..

٤

تبدو لي الأجسادُ مثلَ أرغن
يعزفُ في كنيسة.
لكننا، لا نسمعُ الأصواتْ.

٥

حين أرى وجهَك، يا حبيبتي
أحس أني أقرأُ التوراهْ..

٦

رسمتُ شَعْراً
فوضويَّ الطبعِ.. لا مباليا
رسمتُ نهداً غاضباً..
ثم رسمتُ واحداً...
مسالماً.. وطيباً.. وراضيًا..
وبعدَها..
رششتُ فوقَ العنقِ الشاماتْ..
وعندما أرجعتُ فرشاتي إلى مكانِها
كان دمي على البلاطِ جاريًا..

٧

رسمتُ أيضاً..
وردةً مبتلةَ الأوراقِ تدعى (ماريا)..
وهي تشد البُرنسَ الأبيضَ حولَ جسمِها.
للمرةِ الأولى بتاريخي ألاقي قمراً
يمشي ببيتي حافيا..

٨

أرسمُ ظهرَ امرأةٍ عاريةٍ
فيسقط الثلجُ على ستائري.
وتنبتُ الحنطة من أظافري.
ويترك الحمامُ فوقَ شرفتي
ريشاً.. وأغنياتْ.
وتقرعُ الأجراسُ،
في صباحِ يومِ السبت،

تدعو الناس للصلاةِ..
وتبدأ الحياهْ..

٩

رسمتُ فوقَ الخزفِ الصينيِّ.
فوقَ الصدفِ الشاميِّ.
فوقَ الفلفلِ الهنديِّ.
فوق البلحِ البصريِّ.
فوقَ شِعرِنا المكتوبِ بالكوفيِّ.
حتى أصبحتْ أصابعي
بحيرةً للماء..
والأسماكِ.. والنباتْ..

١٠

.. وعندما طلبتُ من نسائي الزواجَ
لم يقبلْنني..

وكان أن رجعتُ نحوَ مرسمي المهجورِ
كي أمارسَ الجنسِ مع اللوحاتْ..

لندن ١٩٩٤

قراءةٌ في تاريخ نهد..

١

تبارك نَهْدُك..
يصرخُ كالديكِ عند الصباحْ
ويتركُ فوقَ الشراشفِ ريشاً..
وفوقَ الستائرِ ريشاً..
ويملأ بالفستقِ الحلبيِّ جيوبي
و يمنعني أن أنامْ..

٢

تبارك مجدُ السفرجَلِ..
والقصبُ السكري..
ومجدُ البياضِ.. ومجدُ الحليبِ..
ومجدُ الرخامْ..

٣

تباركَ هذا الأميرُ المثقفُ..
يعزفُ مثلَ الكمنجاتِ ليلاً
ويلثغُ بالراءِ مثلَ الحمام..

٤

تباركَ هذا المُزَوْبعُ كالثلجِ
في طرقاتِ الجبل..
وهذا المنقطُ في عينيه كالحَجَلْ..
تباركَ هذا الذي لا يُسَلْطَنُ إلا
على لمساتِ الحنانِ.. وشِعْرِ الغزل..

٥

سلامٌ على ياسمين دمشقَ
يعربشُ حيناً على كتفيَّ..
وحيناً على شرفاتِ الغمام..
ويجعلني ملكاً أمويّاً..

ونافورةَ في بيوتِ الشامْ..

٦

أحاولُ إطعامَ نهدِك
لوزاً.. وتيناً..
فيتركني هارباً للأمامْ..

٧

سلامٌ على ناهدٍ
لا يريدُ سلاماً..
وهل ثَمَّ نهدٌ ذكيٌّ
يريد السلامْ؟؟

٨

سلامٌ على خنجرٍ يمنيٍّ مضيءٍ
يهادُنني في النهار قليلاً..
ويذبحُني..
حينَ يأتي الظلامْ!!.

٩

إذا كان نهدُك..
يأبى الذهابْ إلى المدرسهْ..
فكيف تعلمَ أحلى الكلام؟؟

١٠

سلامٌ على أرنبٍ أبيض
ينطُّ على أيِّ شيءٍ يراه..
ويكسرُ كلَّ إناءٍ يراه..
ويرقص فوقَ الحطام..

١١

تبارك..هذا الحصانُ الأصيلُ، الشجاع،
العريقُ النسبْ..
تبارك هذا المليكُ العظيمُ..
يقدمُ لي خاتماً من عقيقٍ

ويمنحني صُرّةً من ذهبْ..

١٢

أحبُّك جدًّا
وأعرف أنكِ قبلَ القصيدةِ كنتِ..
وقبلَ الكلامِ..
وقبلَ الأدبِ..
و أعرفُ أنك مقروءةٌ
بجميعِ اللغاتْ..
وموجودةٌ في ألوف الكتبْ..

١٣

أحبُّك..
حتى انفجار البروقِ على شفتيَّ
وحتى تصيرَ القصائدُ فحماً..
وجسمي حَطَبْ..

فلا تعجبي، إن تناثرتُ عشقاً
فحين أنا لا أحبُّ..
يكونُ العجبْ!!..

١٤

أحبُّك جدًّا
وأعرف أني وجدت تراثي
وأني وجدتُ جذوري.
فنهدُك.. آخرُ حصنٍ حصينٍ
يدافع عن كبرياءِ العربْ..

لندن شتاء ١٩٩٤

جميلة أنتِ.. كالمنْفَى

١

عندما نجلسُ معاً.. في أحدِ المقاهي اللندنيهْ
كمركبتين يستريحانِ بعدَ سفر طويلْ.
يخطر ببالي أن أقولَ لك: (أنت جميلة كالمنفَى).
وأن عينيك تَغتسلان بالمطرِ كشوارعِ المنفى..
وأن يديْك.. عصفورتَا حريهْ..
تطيران في سماءِ المنفَى..
ولكنني أشعرُ بأنني سوفَ أخرجُ
على نصوصِ العشقِ الكلاسيكية، ومقدساتِ البلاغة القديمهْ.
وأخونُ (عيونَ المها بينَ الرصافةِ والجسر..)
وصايا كتاب (طوقِ الحمامةِ).. لابن حزم الأندلسي..

٢

«جميلةٌ أنت.. كالمنفَى».
أقولها بنبرةٍ مسرحيةٍ مؤثرهْ.
وأعرفُ أن صراخي بلا جدوى.
وتمثيلي بلا جدوَى.
ونصوصي الدراميةَ بلا جدوى..
وأعرفُ أن كلامي لا يخضُّ خليةً من خلايا جسدِكْ..
ولا يحركُ ورقةً واحدةً في غابات أنوثتِك..
أقولها وأنا أعرفُ أنني أؤدي دوراً تبشيريّاً
لا يليقُ بتاريخي..
وأن كلَّ الأيديولوجيات في العالمْ
لا تستطيع تغييرَ قناعاتِ امرأةٍ
تعيش في حالةِ عشقْ..

٣

سامحيني إذا كسرتُ زجاجَ اللغه..

وخرجت من صندوقِ البديعِ والبيان
وثلاجةِ الكلماتِ المأثورهْ.
لأعلنَ: أنك رائعةٌ كالمنفى..
وشتائيةٌ.. ورماديهْ..
وساطعةٌ.. وباهرهْ..
وواحدةٌ.. ومتعددهْ..
وحُبُلَى بالبروقِ.. والأمطار.. كأيامِ المنفى..
رغمَ شعوري أن كلماتي
سوف تكونُ غريبةً على أذنِ امرأةٍ عربيهْ
تعودت على ديباجةِ قيسِ بنِ الملوَّحْ..
وغزليات جميلِ بثينهْ..
ومطولات السيدةِ أمِّ كلثومْ...

٤

سامحيني..

إذا تحررتُ من اللياقاتِ الشعريةِ قليلاً
في حواري مع النساءِ..
فأنا لا أستطيعُ أن أزوِّرَ أحاسيسي
وأقولُ لك كلاماً منقولاً عن الذاكرةِ الجماعيهْ
ولا أن أراكِ بعيون العشاقِ الموتى..
ولا أن أدخل إلى غرفةِ نومِك..
ومعي كُلُّ ذكورِ القبيلهْ!!.

٥

كيف أعاني من عقدةِ الاكتئاب؟
وأنا منفيٌّ فيك..
وهل أجملُ من أن يكونَ الإنسانُ منفياً
في داخلِ امرأةٍ يحبُّها؟
هل هناك مرفأ أكثرُ طمأنينةً..
من التمددِ على رمالِ نهديْكِ؟؟..

والسكنى في تجويفِ يديْكِ..
والإبحار في مياهك الدافئهْ؟؟.

٦

سامحيني.. يا سيدتي
إذا هربتُ من عباءةِ العباسِ بنِ الأحنف
وشيزوفرانيا ديكِ الجن الحِمِّصِي.
وبراغماتية عمرَ بن أبي ربيعة.
وسميتُك وردةَ المنفَى..
أو قمرَ المنفى..
أو تفاحةَ المنفى..
فاللغةُ التي نكتبُ بها.. أو نحبُّ بها..
لا تشبهُ لغةَ أهلِ الجنه.
ولا كلامَ الملائكه..
فالوطنُ العربي الذي جئنا منه أنت.. وأنا.

ليس فيه مكانٌ.. لا لإقامةِ القمرْ..

ولا لإقامةِ البشرْ..

ولا لإقامةِ الملائكهْ..

لندن صيف ١٩٩٤

هل أنت حقاً تعرفُ النساء؟

١

أحبَّني كما أنا..
بلا مساحيقَ.. ولا طلاءْ..
أحبني.. بسيطةً، عفويةً
كما تحبُّ الزهرَ في الحقولِ، والنجومَ في السماءْ.
فالحبُّ ليس مسرحاً نعرضُ فيه آخر الأزياءْ..
و أغربَ الأزياءْ..
لكنه الشمسُ التي تضيءُ في أرواحِنا
والنبلُ، والرقيُّ، والعطاءْ.
فابحثْ عن الشمسِ التي خبأْتها في داخلي
إن كنتَ حقّاً تعرفُ النساءْ؟؟

٢

أحبني..

بكلِّ ما لديَّ من صدقٍ، ومن طفولهْ.
وكلِّ ما أحملُ للإنسانِ من مشاعرَ جميلهْ.
أحبني غزالةً هاربةً من سلطةِ القبيلهْ.
أحبني. قصيدةً ما كُتبت..
وجنةً على حدودِ الغيمِ.. مستحيلهْ..

٣

أحبني لذاتي. وليس للكحلِ الذي يمطرُ في العينين.
وليس للوردِ الذي يلونُ الخدين..
وليس للشمعِ الذي يذوبُ من أصابعِ اليديْنْ.
أحبني تلميذةً تعلمت مبادئَ الحبِّ على يديْك
وكَمْ جميلٌ معك الحوار..
أحبني إنسانةً.. من حقِّها أن تصنعَ القرارْ..

٤

أحبني..

بوجهي الضاحكِ، أو بوجهي الحزينِ.
في لحظةِ الهدوءِ، أو في لحظة الجنونِ.
في قلقي.. في غيرتي..
في غضبي عليكَ.. في حنيني..
أحبني... من أجلِ حبي وحدَه.
لا للفراشات التي تطيرُ من خزانتي.
أو للمناديل التي تفوحُ من حقيبتي..
أو للعصافير التي تنامُ في عيوني..

٥

أحبني، من أجلِ فكري وحدَه.
لا لامتداد قامتي.. أو لرنين ضحكَتي..
أو شعري الطويلِ.. والقصير.
أو جسدي المغزولِ من ضوءٍ ومن حريرْ..
أحبني.. شريكةً في الرأي والتفكيرْ..

لا دميةً من ورق..
أو حبةً من عنبٍ تؤكَلُ في السريرْ!!.

٦

أحبني.. حضارةً، وقيمةً وموقفاً..
وامرأةً شجاعةً تحلمُ بالتغيير..
فالحبُّ يا حبيبي.. قضيةٌ كبيرةٌ.. كبيرهْ
فهل ترى تعرفُ ما قضيتي؟
يا أيها العاشقُ، والفارسُ، والمكتشفُ الكبيْر؟؟

٧

أحبني..
برغمِ ما ارتكبته في الحبِّ من أخطاء..
ولا تؤاخذني..
إذا غضبتُ.. أو رفضت..
أو سبحتُ عكسَ الماءْ..

ولا تعاتبني..
إذا أخطأتُ في كتابةِ الأفعالِ والأسماءْ..
فإنني ، يا سيدي
ما زلتُ في بدايةِ الأشياءْ..
فأنتَ عن يميني.
والخوفُ عن شمالي.
فكيف يا حبيبي سأقطعُ الصحراءْ؟؟

٨

أحبني..
في أيِّ شهر كان..
في أيِّ عامٍ كان..
في أي فصلٍ كان..
تحتَ سماءِ الصيفِ، أو عباءة الشتاءْ.

وضُمني.. وضمني..
حتى نصيرُ قطعةً واحدةً
وتسقطُ الحدودَ بينَ الأرضِ والسماءْ..

لندن ربيع ١٩٩٤

حوارٌ أبويٌّ.. مع طفلةٍ كَبُرتْ

١

لن أطلبَ منكِ بعدَ اليوم
أن تعطيَني نبذةً عن سيرتِك الذاتيهْ
فسيرتُك الذاتيةُ أكتبها أنا..
بحبري أنا.. بدمي أنا..
وأعلقها كَثُريا من الكريستال
على سقفِ القمرْ..

٢

لا يعنيني.. أن أدخلَ في تفاصيلِ أنوثتِك..
فأنوثتُك من الألفِ إلى الياءِ
من حياكةِ أصابعي..
ثم لا يعنيني أن أعرفَ ما هو اسمُك؟.
ومتى وُلدت؟ وأين وُلدتِ؟

فولادتُك الحقيقيةُ تمتْ على يَدِي.
وخطواتُك الأولى كانت فوقَ أضلاعي.
وكلماتَك الأولى مشتقةٌ من قاموسي.
وأسنانُك الحليبيهْ
كانت تقوَى كلما انغرزتْ بلحمي!!..

٣

لن أسألَكِ..
من هو أولُ رجل كتب إليكِ رسالةَ حب؟...
وفي أيِّ عام تخرجتِ من كليةِ الآداب؟
وفي أيِّ عام تخرج نهداكَ من مدرسةِ الياسمين؟
وما هو لونُ الثوبِ الذي لبسته في حفلةِ التخرج؟
لن أطرحَ هذه الأسئلةَ الساذجهْ
لأنني لستُ مسئولاً عن محاكمةِ العصافير..
واستجوابُ الورودْ..

٤

لا أريدُ..
أن أتجاوزَ الخطوطَ الحمراءْ
لأسألك عن محيطِ خصرِك..
ومقاييسِ حمالةِ نهديْك..
ومستوى ارتفاعِ تنانيرك عن سطحِ البحر..
وعددِ الشاماتِ المرشوشة على ظهرِك..
فأنا لا أريدُ أن أكشفَ الوجه الثاني من القمرْ..
ولا أن أحصيَ كلَّ أشجارِ الغابهْ..
ولا أن أعرِّي جسدَ القصيدهْ..
فأنت واحدةٌ من أهمِّ أعمالي الشعريهْ..
ولم يسبقْ لي أبداً.. أن قمتَ بشرحِ قصائدي.

٥

لا أريدُ

أن أدخلَ في تفاصيلِ البياضْ
ومتاهاتِ الياسمينْ.
لأن كتابَ الأنوثهْ
- كديوانِ الشعرِ -
لا يُقرأ في جلسةٍ واحدهْ..

٦

لا أريدُ أن أسألَك عن الشعرِ
فهو معجونٌ بك..
كما أنت معجونة به..
ولا عن الكحلِ الذي تضيعنه على أهدابِك
حتى يولدَ الليلُ من النهار..
ولا عن شاعرِك المفضل؟
والقصيدةِ التي تتغرغرين بها قبلَ أن تنامي.
لا أريد أن أمطرَك بأسئلتي

فأسئلةُ الشعرِ لا تنتهي..
والرحيلُ في عيونِ النساءِ
رحيلٌ لا ينتهي..

٧

لا أريدُ أن تفتحيَ لي ألبومَ طفولتِك
لأرى صورتَك في سنِّ العاشرهْ..
ففي سنِّ العاشرهْ،
كنتِ قصيرةَ الشعرِ.. وصبيانيةِ الملامح..
وكانت تنانيرُك المدرسيةُ طويلةً... وشديدةَ الأصوليهْ..
وقتئذٍ.. لم تكوني مليكةَ جمال..
ولا حوريةً من حورياتِ البحر..
كانت أعضاؤُك ملتبسَه..
وصوتُك ملتبساً.. ومشيتُك ملتبسهْ..
وكان نهداك.. كوكبيْن في علمِ الله!!..

٨

ماذا أفعلُ بك في سنِّ التاسعة.. أو العاشرهْ.
أو الحاديةَ عشرهْ؟
ماذا أفعلُ بسنِّ القلق، والطيشِ، والتحولاتْ؟
إنني أحبُّك الآن..
بعمرِك الآن.. بشكلِك الآن.. بنضحِك الآن..
بحواراتِك اليوميةِ الباهرهْ..
إنني أحبُّك الآن..
بعدما صارَ العنبُ عنباً..
والنحاسُ ذهباً..
وبعدما صارتْ القيلولةُ معك على فراشٍ واحدٍ..
حدثاً حضاريّاً نادراً
في تاريخِ الحبِّ العربيْ!!

لندن صيف عام ١٩٩٤